أمة الإسلام

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ....

أما بعد أيها المسلمون: إن الله سبحانه وتعالى قد اختار هذه الأمة من بين سائر الأمم ، وجعل فيها الخير والرحمة إلى يوم الدين ، كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران:١٠٤) ، فهذه الأمة تحمل رسالة ذو شقين :

الشق الأول: موجه للذين آمنوا واتبعوا النور الذي جاء به محمد ﷺ .

أما الشق الثاني: فهو موجه لأولئك الكافرين والمعرضين ، والذين اتخذوا المواقف السلبية من هذه الدعوة المباركة، لقد أقام النبي ﷺ للإسلام دولته في المدينة ، في وسط جاهلية عمياء ، وطبع آلآف النسخ لتربية الأجيال ، تربية منهجيّة عقائديّة ، ولم يطبعها بحبر على ورق ، وإنما طبعها بمداد من

نور ودماء تفور، ولكن ويا للأسف فإن هذه الأمة اليوم ، تمر بظروف شديدة وصعبة، وربما لم تصل إليها من قبل، ولذلك فإن المهمة اليوم على هذه الأمة، مهمة أكبر وأخطر بكثير من مهمتها في الظروف السابقة ، لأن المسألة في صميمها لم تعدْ مجرد التذكير بهذا الواقع الأليم ، ولكنها أوشكت: أن يكون فيها إعادة البناء من الأساس الذي تهاوت دعائمه، وانهارت قواعده ، في الوقت الذي تداعت علينا الأمم من كل حدب وصوب ، كما أخبرنا بذلك النبي ﷺ بقوله: (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم ، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**) وإذا درسنا أحوال أمتنا اليوم كما ينبغي ويجب، فسنجد أنها وقعت في مأزق كبير، حيث وقع فيها انحرافات كثيرة خلال الأربعة عشر قرناً الماضية ، فظلت هذه الأحوال السيئة ، تُبْعِدُ الناس رويداً رويداً عن حقيقة الإسلام،حتى صرنا إلى غربة الإسلام الثانية التي أخبرنا عنها الرسول ﷺ بقوله:(**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ**) ففي نصف قرن واحد من الزمان ، تغيرت الأمور تغيراً مريعاً ، حتى لكأنما ذهبت أمة وجاءت من بعدها أمة أخرى لا صلة بينها وبين ماضيها إلّا تشابه الأسماء، ولذلك سرى الفساد في هذه الأمة، كسريان السم في البدن الملدوغ ، ثم بعد ذلك عملت مناهج التعليم ووسائل الإعلام على تعميق ذلك الانحراف في بلاد المسلمين وترسيخه في حياتهم، لقد أثرت عوامل كثيرة على هذه الأمة، أولها: الفكر الإرجائي الذي عرَّف الإيمان: بأنه قول بلا عمل،وزعم أن الإيمان في القلب وحده،وأن من قال:لا إله إلّا الله ، فهو مؤمن ، ولو لم يعمل عملاً واحداً في الإسلام، وكذلك الفكر المتصوف والمتشيّع، الذي حول الإسلام إلى سبحات روحانية، وأوراد وأذكار بدعيّة وهيام وخيال لا صلة له بواقع الأمة، وكان الاستبداد السياسي منذ بني

أمية حتى اليوم قد صرف الناس عن الاشتغال بالأمور العامة للأمة ، ووجههم إلى الاهتمام ، بشؤونهم الخاصة ، وتحوّل التوكل إلى تواكل دون الأخذ بالأسباب ، وتحولت عقيدة القضاء والقدر إلى تخاذل وتقاعس، بعد أن كانت عقيدة جرأة وإقدام ، حتى أن مفهوم: لا إله إلّا الله أصابه إنحسار شديد وتهميش كبير ، فقد أصبحت هذه الكلمة مجرد كلمة تقال أو علامة أو شعار ، بل صارت حقيقتها مجهولة عند كثير من المسلمين ، إنها الأوضاع السيئة التي تمر بها أمتنا اليوم في مشارق الأرض ومغاربها ، فإذا نظرت إلى السلوك والأخلاق وجدت هذه الأمة ، قد انخرطت في سلوك غيرها من الأمم الكافرة ، وعليه فلا ترى إلّا عجباً ، وقد تمثل أبناؤها بأبناء اليهود والصليب ، كما جاء في الحديث ، قوله -عليه الصلاة والسلام-: (لتتبعن سُنن من كان قبلكم ، حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) كذلك أيها المؤمنون: لو نظرتم إلى التشريع والحاكميّة في هذه الأمة لوجدتم بوناً شاسعاً ، وفرقاً واسعاً ، فقد أصبحوا الآن يتحاكمون إلى الجاهلية العمياء المعاصرة ، ويعبدون آلهة شتى ، فالمصلحة أصبحت إله ، والتقدم إله ، والعمل آله ، والعلمانية إله ، والحرية إله ، والديمقراطية إله ،وآلهة تعبد من دون الله ، والله عز وجل يقول: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾(المائدة :٥٠) لقد كان الإنسان في الجاهلية الأولى ، أفضل حالاً وأحسن أخلاقاً من الجاهليّة المعاصرة ، لأن الإنسان اليوم ، فَقَدَ كل شيء من القيم والأخلاق والمبادئ ، التي كانت سائدة يوم ذاك ، وأصبح الآن يركض وراء الشهوة والمادة ، ويقترف كل المنكرات ، باسم الحضارة والحرية ، وما علموا أنها الحياة الدنيّة التي فتن بها أصحاب الجاهليّات السابقة والحديثة ، كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

OBEIKAN.COM

وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (الروم:٧) ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى ، قد حمّل هذه الأمة أمانة لم تحملها أمة سابقة من الأمم حين كرّمها بأن جعلها تحمل الخيريّة إلى قيام الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(آل عمران:١١٠) وقال تعالى في آية أخرى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾(البقرة:١٤٣) ولكن هذه الأمة غفلت حيناً من الدهر عن هذه الغاية التي خلقت لها ، ونسيتْ رسالتها العالمية إلى كل العالمين، وأنها يجب: أن تخاطب الأبيض والأسود والأحمر والأصفر ، استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾(الأنبياء:١٠٧) وكذلك يجب على هذه الأمة أن تقضي على كل الأعراف والتقاليد الجاهلية ، وأن تتغلغل في أوساط المجتمعات والقوميّات والعرقيّات التي تنبذ الإسلام أو تعاديه، ولكن أقول: بصراحة ومرارة ، أن هذه الأمة ، أصبحت الآن عاجزة عن حماية نفسها ، فضلاً عن تهديد غيرها من الأمم الكافرة ، وذلك لأن الذين سادوا فيها واستأثروا بقيادتها ، هم السبَبْ في ذلها وانتكاساتها ، وهم السبَبْ في تلك المؤامرات التي تحاك ضدّها ، إن المصيبة الكبرى لأمتنا أن يتولى فيها أولئك الرعاع والملوثين من أبنائها، الذين وصفهم الرسول ﷺ بقوله (وينطق فيها الرويبضة ، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: السفية يتكلم في أمر العامة) والحقيقة أن الأمة اليوم تعاني من هؤلاء الروابض ، الذي مَسَخوا هويّتها، والذين ينخرون في جسدها ، تحت شعارات كاذبة، ومسمّيات وانتصارات واهية أوهى من بيوت العنكبوت ، ولهذا لا نستغرب عندما نشاهد أولئك السفهاء والروابض الذين لا خلاق لهم عند الله ، يخرجون في وسائل الإعلام ويتحدثون عن قضايا الأمة المصيريّة،

وقد يكون أولئك المتحدثون عن هذه القضايا ، من أجهل الناس، وأجهل من حمار أهله ، ولكن وسائل الإعلام اليوم أصبحت تُلَمِّعهمْ ، وترفع من قدر التافهين والضائعين والمائعين ، وتصل بهم إلى عنان السماء ، بينما تَخْفض من قدر العلماء والعظماء ، الذين قدّموا التضحيات في سبيل الله، وعُرفوا بولائهم لدينهم وأمتهم ، أما أولئك الروابض الذين يحاربون الإسلام فليس لهم تاريخاً بيننا وبين أمتنا ، حتى لو وصلت مناخيرهم إلى السماء ، أو وُضعت عليهم كل مساحيق التجميل في العالم ، لذلك لا نستغرب عندما نشاهد أولئك الروابض ، يتعالون بأصواتهم ويكابرون ، فيخرج أحدهم في وسائل الإعلام ، ويقولون له: كيف شققت طريقك في الحياة؟ فيقول: بدأت من الصفر ، وهو ما يزال تحت الصفر ، أو أسفل منه بقليل ، أو في أسفل السافلين ، ولكنها الحماقة والخيانة للأمة، وعلينا أن نسأل: ماذا قدم هؤلاء المذبذبين لدينهم وأمتهم؟ ألم يكونوا أذناباً وأذيالاً لأعدائهم من اليهود والنصارى ألم يتنازلوا عن حقوق إخوانهم في فلسطين وفي العراق وفي سائر بقاع المسلمين ، ألم نشاهدهم يركعون أمام البيت الأبيض والأسود ويتسابقون إليه في ذلة وهوان وخسّة وعار، ألم يتنازلوا عن دينهم وأمتهم ، من أجل ثمن رخيص، وفتات يسير وعرض من الدنيا قليل، ألم يسمعوا صرخات إخوانهم في فلسطين، ونداءتهم في أرض الرافدين، ألم يسمعوا تلك الأمهات الثكالى، اللاتي يبكين دماً ودموعاً؟! ، ألم يسمعوا تلك الاستغاثات من النساء المغتصبات؟! أقول : كلا ، إنهم يسمعون ويشاهدون ما يحدث لإخوانهم وأمتهم ، ولكنهم يتخاذلون عن واجبهم، ولا شك ولا ريب أنهم بذلك يظلمون أنفسهم قبل غيرهم ويظلمون الأمة بأسرها ، بل كانوا سبباً في

ذل المسلمين وتركيعهم وإذلالهم ، وقد أثبتوا دائماً أنهم يقفون صفاً واحداً مع أعدائهم من اليهود والنصارى،والله -عز وجل-قد حذر من ذلك بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾(المائدة:٥١) لقد أذلونا بهذه العمالات وهذه الخيانات ، وأذلوا الأمة بأسرها ، لقد أصيبت هذه الأمة في دينها وعقيدتها، وسُلبت كرامتها ، واحتُلّتْ أرضها ، وسُفكت دماؤها، ونحن مع ذلك ، ما زلنا نأمل خيراً بأعدائنا ، ونستجيب لهم ولآرائهم ومخططاتهم التي فرضوها علينا وعلى أمتنا ، ونحن مع ذلك نملك قوةً جبارة لا يستهان بها ، نملك الإيمان والعقيدة ، التي حارب بها رسول الله ﷺ في مكة والمدينة ، فيخرج من هذه الأمة الوليدة أبطال الإسلام وحماة الدين والعقيدة فيأتي محمد ﷺ ليخرج لنا من الأمة العربيّة البائسة أمة خالدة ماجدة رائدة ، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾(الجمعة :٢) فنحن أمة لا تعرف الذل والهوان ، ولا تعرف الضيم والخنوع ، يسمع المعتصم بالله، نداء امرأة عجوز احتمت بالإسلام ، فيلبي النداء من بغداد ،عاصمة الشموخ والإباء ومهد التاريخ والحضارات، فيأتي إليه المنجمون، ويقولون له: لا تغزو الروم في هذه الأيام ، لأن برج الذنب لم يستكمل دورته الآن، فيقول لهم: آمنت بالله وكفرت بكم وأعمالكم الباطلة ، والله لأغزونّ الروم هذا اليوم ، وتحرك بتسعين ألفٍ من جيش المسلمين لنصرة امرأة عجوز احتمت بالإسلام أما اليوم فمئات المسلمات من فتياتنا العفيفات في فلسطين وفي العراق ، وفي غيرها من بقاع المسلمين يستغثنَ بحكام المسلمين ، ولا يجدنَ حاكماً

مسلماً أو زعيماً عربياً، عنده نخوة من العروبة أو الإسلام يستجيب لتلك الآهات والزفرات، فهناك سبايا، وهناك ثكالى، وهناك مغتصبات:

تبيت أختي كريمة وتصحوا ∴ وقد ألغى كرامتها الغريب
تخبئ وجهها يا ليت شعري ∴ بماذا ينطق الوجه الكئيب
يموت الطفل في أحضان أم ∴ تهدهده وقد جفّ الحليب

واه على أمة الإسلام التي أضاعت عزّها ومجدها وكرامتها ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ (النحل:١١٢).

نموذج مقدمة:

أيها المسلمون: إن أمتكم هذه أمة الإسلام أُصيبت بداء الأمم الذي أشار إليه النبي ﷺ بقوله (**يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا: أومن قلّة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا، أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله المهابة من صدور أعدائكم، ويصيبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت**) إنه الوهن الذي أصاب هذه الأمة بالذّلة والمهانة، فقد أصبحت هذه الأمة، تعيش لشهواتها ونزواتها الرخيصة، ونسيت قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾(النساء:٧٧).

وعليه فإن هذه الأمة لن تعود إلى عزّتها وكرامتها، ما لم تتخلص من شهواتها ونزواتها، وإلّا فإنها ستعيش حياة الذل والهوان، وستُضربُ في كل مرة من قبل أعدائها، كما رأينا ذلك في فلسطين، يوم أن دخلت هذه الأمة بدون هويتها الإسلامية، فساقها اليهود كما تساق النعاج في حديقة

OBEIKAN.COM

الحيوان، وساقوا كتائبها الذليلة الحقيرة، وأعلنوا إفلاسهم وخسارتهم مع اليهود، دخلوا إلى فلسطين في حرب سبع وستين، تحت شعارات جاهلية عمياء، وتصريحات كاذبة جوفاء، لقد أوصلوا الأمة إلى ذل وهوان لم يشهد التاريخ مثيلاً له، بعد أن كانت أمة ظاهرة قاهرة، تأبى أن تُذل أو تُهان، ولكن هؤلاء المذبذبين في دينهم وعقيدتهم قد وضعوا لأنفسهم أن يكونوا في صف أعدائهم، من اليهود والنصارى، وتحالفوا مع الشيطان في حربهم على أمة الإسلام، ولهذا لا نستغرب أن نشاهد من أبنائنا وحكامنا من يقف في صف أعدائنا ويتنازل عن حقوق أمتنا المسلوبة، فتراهم يركضون ويتسابقون إليهم وإلى طاعتهم وإلى تحقيق مطالبهم، والله -عز وجل- يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (المائدة: ٥١).

إذا أيها المؤمنون: إن هذه الأمة، تمر بويلات ومؤامرات، ولكن مع ذلك، كلنا ثقة أن البناء سيعود بإذن الله، وسيعود شامخاً كما كان، والمبشرات كلها تشير إلى جولة جديدة للإسلام، ممكّنة في الأرض على الرغم من كل الحروب التي تشنها الجاهلية في الأرض على إسلامنا وهويتنا، ولكنها مهمة شاقة في الغربة الثانية التي بينها الرسول ﷺ بقوله: (**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء**) إنها مهمة تحتاج إلى جهد فائق وبصيرة نافذة، وعدم الاستعجال في تحقيق النصر لهذه الأمة، لأن الرسول ﷺ عندما بدأ دعوته في مكة لم يستعجل، ولم يطلب تحقيق النصر المباشر دون الأخذ بالأسباب، وإنما استمر في دعوته في مكة ثلاثة عشر عاماً، وعمل:

أولاً: على تربية جيله الأول، وتصحيح مفهوم لا إله إلّا الله، وعمل.

ثانياً: على تأسيس القاعدة الصلبة التي يقوم عليها أساس البناء ، ولو أن الرسول ﷺ استعجل النتيجة ، ودخل في معركة غير متكافئة مع قريش لتأخر الأمر كثيراً ، ولكن الرسول ﷺ جرّد قلبه أولاً من رغبة التمكين ، وجنّد نفسه لمهمة البلاغ ، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾(الرعد :٤٠) فقد كانت الآيات في أول الأمر تَنْزل وتحثه على الصبر وعدم الاستعجال ، وتنهاه عن التحرُّش بالكافرين ، كما في قوله تعالى : ﴿ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾(النساء:٧٧) أي أن هذه مهمتكم أولاً ، أن تربوا الأجيال ، وأن توضّحوا للناس حقيقة لا إله إلّا الله ، ثم بعد ذلك يأتيكم النصر من عند الله ، كما قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾(الحج :٣٩) لقد كانت هذه الآية في مكة﴿ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ ﴾هي سرُّ الموقف كله ، وهي التي أتاحت الفرصة لقضية: لا إله إلّا الله أن تتغلغل في القلوب والعقول ، وأن تجدَ أنصاراً وأتباعاً يموتون من أجلها ويضحون في سبيل الله ، ولهذا لمّا علم الله ما في قلوبهم ، وصدقَ نيّاتهم ، وأنهم متجردون لله مكّنَ لهم في الأرض ، كما قال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾(القصص :٥).